مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:07 العدد 01 جانفي (2023) ص 640- 650

مناهج دراسة المستشرق مونتجمري وات للسيرة النبوية وتقويمها

Methods for studying the orientalist Montgomery Watt of the Prophet's biography and its evaluation

د، ميلود بوراس *
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم. الجزائر
miloudbouras29@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
06/ 12/ 2021
تاريخ القبول:
08 / 09 / 2022

الكلمات المفتاحية:
- ✓ السيرة النبوية
- ✓ مناهج المستشرقين
- ✓ المستشرق مونتجمري وات

الملخص:

لقد ناور هذا المستشرق في طرح أفكاره وتلاعب بأحداث التاريخ الإسلامي،كما أنه عمل جاهدا لتشويه سمعة النبي صلى الله عليه وسلم،فقد اعتمد على الكتابات المستشرقين السابقين التي هي في الغالب تعتمد على التحريف والتزوير،كما حاول تحريف ماهو موجود في كتب التاريخ،وشوه الحقائق،ودس الدسائس،واخترع الأباطيل،واستخدم بعض الإطراء والتنويم،ليمرّر أفكاره ويبث سمومه،كل هذا إنما هو حلقة من حلقات الكيد والحسد الذي أخبرنا الله به في القرآن الكريم

Article info

Received *06/12/2021*
Accepted *08/09/2022*

Abstract :

We have begun to put forth his ideas and manipulate the events of the development of Islamic history, and he relied on orientalist writings that are mostly based on distortion and forgery. It broadcasts and poisons it,

* المؤلف المرسل

all of this is but the ring of the cycles of maliciousness and envy that God told us in the Noble Qur'an.

Keywords:
- ✓ *Biography of the Prophet*
- ✓ *Orientalist Methodologies*
- ✓ *Orientalist Montgomery Watt*

مقدمة:

جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق فهو القدوة الحسنة التي يجب اتّباعها والإيمان بها،لتحقيق ما فيه صلاح الدارين وسعادة البشرية،على عكس ما يُنشر عنه من أكاذيب وخرفات باطلة.

إن النظرة الاستعلائية التي استعملها الغرب منهاجاً في دراستهم للإسلام،اتضحت جليا في تعامل المستشرقين مع سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولعل من أبرز المستشرقين الذين توسعوا في الدراسات والبحوث حول سيد الخلق محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)،هم المستشرقون البريطانيون الذين اهتموا كثيرا بالسيرة النبوية،ومن الذين لم يلتزموا الحيادية نجد المستشرق "مونتجمرى وات" ، مع أنه قطع عهدًا على نفسه في مقدمة كتاب له عن السيرة النبوية بالتزام المنهج العلمي المحايد حين قال:ولقد حاولت المحافظة على الحياد في المسائل اللاهوتية (الدينية) التي يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام ، فمثلا لتجنب الجزم بما إذا كان القرآن كلام الله أم لا ، فقد تحاشيت استخدام التعبير (يقول الله) أو (يقول محمد) واستخدمت التعبير يقول (القرآن)، ومع ذلك فإنني لا أتبنى المنظور المادي بحجة التزامي بالنزاهة التاريخية ، فأنا أكتب كمؤمن بالتوحيد".[1]

وحتى بعدما قال وات هذا الكلام - الذي يبدو موضوعيا – فإنّ القارئ بعد اطلاعه على مؤلفاته عن النبي صلى الله عليه وسلم، يلاحظ أنها مجرد ادعاءات وافتراءات. ومع العلم أن وات لم ينسب القرآن الكريم على أنه منزّل على محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الوقت ذاته لم يقل: قال الله تعالى؛ لأنه لا يؤمن – أساسا- بأن القرآن كلام الله تعالى.

إن السواد الأعظم من المستشرقين ردّ السيرة النبوية إلى أصول يهودية ونصرانية؛ذلك أن معظمهم إما نصارى "من طبقة رجال الدين، أو من المتخرجين من كليات اللاهوت، وإنهم إن تطرقوا إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام ، حاولوا جهد إمكانهم ردّها إلى أصل نصراني، وإما يهود يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي إلى أصل يهودي ، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء"[2].لا شك أن اليهودية والمسيحية أديان سماوية،والإسلام إنما جاء يكمل هذه الأديان، ولكن تلك الأديان السابقة - اليهودية والمسيحية- حرّفت عقيدتهم وبدّلت وغيّرت كتبهم من طرف القساوسة والأحبار وكذّبت رسلهم،فلم تبق أديان يعتمد عليها في العبادة،فأرسل الله لهم الإسلام جامعا ومانعا إلى أن يرث الله أرض ومن عليها.قال سبحانه وتعالى:﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة:46] إلى أن قال عز وجل:﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة:48] .

من هنا ، فإنه يسهل استخراج "قواعد منهج مونتجري وات وتقويمه من خلال كتاباته في السيرة النبوية وتصويبها.ويتّسم منهج وات في دراسته للسيرة النبوية بعدة سمات (أو قواعد) ، منها :

1 منهج التأثر .

2. منهج الشك .

3. منهج النفى .

4. منهج التفسير المادى

5. منهج الإسقاط .

6. منهج التحريف .

7. منهج التناقض

8. منهج اعتماد الضعيف الشاذ.

9. منهج المنهج العلماني

10. منهج تقديم المصادر الاستشراقية على المصادر الإسلامية.

1- <u>منهج التأثر وتقويمه ونقده:</u>

يحاول وات أن يثبت للنّبي صلى الله عليه وسلم أنه التقى بورقة بن نوفل وتأثر به فيقول: "إنّ محمدا كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي، والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة... فإنّ ورقة كان على صلة وثيقة بمحمد، وكان معروفا بدراسته للأناجيل"[3].قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة-48] .

زعم وات أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان مدينا بفكرة الوحي لورقة بن نوفل وهذا قول باطل. يشهد التاريخ أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يلتق ورقة بن نوفل إطلاقا،غير أن وات مصرّ على أن النّبي صلى الله عليه وسلم التقى ورقة بن نوفل مرات ومرات،وهذا إصرار فاسد وظن كاذب بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل 103].يرد على هذا الافتراء محمود ماضي بحجج وأدلة تنفي ادعاءت وات:

1- أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميّا لا يعرف القراءة والكتابة قال الله تعالى :﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت48).

2- إن العهد القديم لم يكن مترجما إلى اللغة العربية، وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى ذلك حتى أوائل العصر العباسي.

ج- لو أخذ محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من أهل الكتاب مع عداوتهم لأذاعوه.[4]

يرى "وات" أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ساير اليهود في العديد من عباداتهم كالصلاة، والتوجه نحو بيت المقدس...ويورد "وات" العديد من الطقوس الإسلامية الأخرى المشابهة لليهود أيام هجرته الأولى كصيام يوم عاشوراء، وبناء مسجد الرسول على هيئة كنيسة يهودية ولكنه ينفي هذه الواقعة التي استند في روايتها إلى "نولدكه وبيكر" الألمانيين إلا أنّه

يؤكّد أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم قبيل الهجرة وبعدها، كان يميل إلى صياغة ديانته على شكل الدّيانة اليهودية وتشجيع أتباعه في المدينة على الاحتفاظ بالطقوس اليهودية التي تبنّوها"[5].ويرى "وات" أن محمدا قد دعا إلى الدين الجديد الذي كان يهدف إلى جعله مطابقا تماما للدين القديم ،رغبة في استمالة اليهود،وإظهار التماثل في الأصل بين الوحي الذي نزل عليه والوحي القديم ".[6]

زعم كثير من المستشرقين على النّبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أنه قرأ عن الأوائل ونقل عنهم الكثير،وتأثر بما هو موجود في التوراة والإنجيل.ولقد ربط وات مثله مثل غيره من المستشرقين النّبوة بالإسرائيليات،وردّها إلى أصول يهودية ونصرانية،وجعل ذاك التطابق بين القرآن الكريم والعهد القديم إنما هو استمالة لليهود وهذا الكلام لا أساس له،والحقيقة أن هناك تشابها وتكاملا بين الأديان السامية،ولكن وات وأمثاله يحللون هذه المسائل وفق عقليتهم الكافرة، واتجاههم المنكر لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول محمد فتح الله الزيادي "إذا كان الإسلام يتفق مع بقية الديانات التي سبقته في وحدة الأديان و مصدرها الإلهي، فإنه يختلف معها في كونه الدين النهائي الخاتم لجميع الأديان.كما أن نبيه محمدا صلى الله عليه سلم هو الخاتم لجميع النبيين".[7]

2- منهج الشك وتقويمه :

إن هذا المنهج باختصار شديد يُفرّغ الإسلام من إبداعه وذاتيته، ويرد معطياته إلى أصول يهودية ونصرانية ، وينفى ربانية المصدر القرآني .وقد عمل مونتجمري وات جاهدا من خلال كتاباته في السيرة النبوية على إظهار الشكوك في ظاهرة الوحي المحمدي فيقول: "فهناك الكثير مما هو غير مؤكد حول الظروف المحيطة بنزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم."[8] ووات مرتاب أيضا في هل كان النّبي صلى الله عليه وسلم يميز بين كلام الله (الوحي) وكلامه الذي ينتجه عقله الواعي فيجيب أن هذا أمر غير واضح تماما".[9]

تصف المستشرقة لورا فيشيا فاغليري القرآن الكريم بأنه معجزة الإسلام العظمى...إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته إن كلا من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ليس بالطويل أكثر مما ينبغي وليس بالقصير، أما أسلوبه فأصيل فريد وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي الذي ينحدر إلينا من العصور التي سبقته".[10]

تضيف الباحثة أيضا: "إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة،وهو ينتقل من موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معا، وهما صفتان لا تجتمعان عادة، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجزة من عمل محمد صلى الله عليه وسلم، وهو العربي الأمي..."."[11]

كثيرا ما كان يستخدم مونتجمري وات ألفاظا تدل على الشك وهي قوله:"ويبدو أنها" وقوله:

"وإذا افترضنا" ،وقوله: "ومما يدعو للشك"والمعروف أن أشهر من قال بمنهج الشك هو "ديكارت"[12].إن منهج ديكارت في الفلسفة هو الحدس الذي يتناول المبادئ البسيطة ويستنبط من المبادئ قضايا جديدة ".[13]

أراد "ديكارت" أن يقيم لنفسه مذهبا في الفلسفة، وأن يجعل لهذا المذهب منهجا لا يقف في البحث عند حقائق هذه الفلسفة فحسب، بل يتجاوزها إلى حقائق العلوم جميعا"[14].يعلق أنور الجندي على مذهب الشك فيقول: "إن مذهب الشك من أخطر المذاهب التي اعتنقها المنهج الغربي...،ويعرف الجرجاني الشك بأنه : التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر، وذلك هو (اللاأدرية) ، وقيل : هو ما استوى فيه الطرفان ، وهذا المذهب ليس من مذاهب الإيجاب والثقة ، وهو من عوامل الهدم والتحطيم للشخصية الإنسانية وللحياة، ولا ريب أن (اللاأدرية) تحول دون التقدم والبناء والسعي إلى الكمال ، ولابد للإنسان أن يختار موقفا وأن يحسم أمره".[15]

لقد سيطر الشك الديكارتي على كتابات معظم المستشرقين حتى صار سمة غالبة على أبحاثهم فشككوا في كل شيء ، فإن لم يجدوا موضعا للشك أثاروا هم الشكوك.يقول جواد علي "لقد غالى كثير من المستشرقين في كتاباتهم في السيرة النبوية،وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك ، وقد أثاروا الشكوك حتى في اسم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجود النبي صلى الله عليه وسلم".[16]

نفى وات كثيرًا من أحداث السيرة النبوية ليس فقط أحداث الفترة المكية كما هو الحال عند لامانس ،بل بعض أحداث الفترة المدنية أيضا .إن وات لم يستطع الفكاك من أفكار غيره، فراح يثير دوامة من الشك في معظم وقائع السيرة النبوية ونحن نذكر بقوله تعالى :﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح- 29].

3- منهج النفي وتقويمه:

يبيّن عماد الدين خليل في كتابه المستشرقون والسيرة الأخطاء التي وقع فيها مونتجمري وات من خلال استخدامه لمنهج النفي في دراسة السيرة "ومما يختص به منهج وات في دراسة السيرة النبوية (منهج النفي)، فقد نفى كثيرًا من وقائع السيرة النبوية . وترجع خطورة هذا المنهج إلى أنه يقود في النهاية إلى إلغاء مساحات بكاملها من التاريخ .والذي يحمل الاستعداد لنفي الجزئيات قد يصل به الأمر إلى نفى الكليات يدعي وات مونتجمري وات أنه كان اضطهاد المسلمين خفيفا؛ وكان لا يتعدى الهجوم اللفظي"[17]. وهذا الكلام مخالف لما جاء في كتب التاريخ فقد كان كفار قريش يضايقون الرسول صلى الله عليه وسلم،ويقومون بحبس المسلمين وتعذيبهم.

قد وقع وات – بسبب تبنّيه منهج النفي- في مغالطات ومخالفة لبعض الروايات الصحيحة الموجودة في كتب السيرة النبوية ، وآفة هذا النفي المفرط لكثير من الروايات الإسلامية،أدت إلى نتائج تثير الظنون وتطمس الحقائق .

4-منهج التفسير المادي وتقويمه:

اختص منهج وات بكثرة التحليلات المادية لوقائع السيرة النبوية حتى طغت على بحثه ،وسيطرت على فكره،فلا تكاد تمر عليه حادثة أو واقعة إلا فسرها تفسيرا ماديا، وأهمل الجانب الإعجازي للسيرة النبوية. يقول عماد الدين خليل:" على أن إحدى الملامح الأساسية التي تميز التفسير الإسلامي عن سائر التفاسير أنه يفرد للبعد الغيبي – ماضيا وحاضرا ومستقبلا- مساحات واسعة، ويجعله أحد الشروط الأساسية للإيمان ، بل أهمّها على الإطلاق ؛ إذ بدونه لا يمكن أن تتحقق أي تجربة إيمانية".[18]

ومن أمثلة ذلك يقول وات عن زواج النّبي صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها "إنها حملت إليه خديجة ثروتها ونفوذها اللذين فتحا أمام محمد صلى الله عليه وسلم أبواب السياسة المكية"[19].فسّر وات كل هذه المسائل من وجهة نظر مادية بحتة، دون أن يضع اعتبارا للعامل الدعوي في نشر الإسلام، وقد أجاب عن هذا الأستاذ "ميور" بقوله:" إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتمتع بتلك الثروة ولم يتلذذ بها، بل قضى حياته فقيرا....ويروي أنّه مات ودرعه مرهونة...."[20].

أفرط وات في استخدام التفسير المادي لوقائع السيرة، بداية من أحداث السيرة بما فيه هجرة المسلمين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة، مرورا بزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أمهات المؤمنين (رضوان الله عليهم)، انتهاء بالغزوات، فقد فسر وات كل هذه الوقائع تفسيرا ماديا يغلب عليه الطابع العقلي والاقتصادي.

إن المنهج المادي يلغي جميع الأحداث الغيبية،وإن اعتماد المستشرق وات في منهجه هذا،إنما هو تصورات ومناهج غربية مملوءة بالمغالطات وسوء الظن،بل وتصنع أحداثا كاذبة وأقوال باطلة تفسر السيرة النبوية تفسيرا ماديا خاليا من الأسس الروحية التي جاءت بها.

-5**منهج الإسقاط وتقويمه**:

يدّعي وات:أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعتبر نفسه نبيّا أرسله الله سبحانه في الأساس لقريش فقط، ولم تكن هناك إشارة قبل موت أبي طالب إلى أنّه فكّر في مدّ رسالته للعرب كافة."[21] قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء-107]

إن الإسلام دين عالمي ارتضاه الله لجميع خلقه،فجاء شاملا وكاملا،لا يختصّ بزمان دون آخر ولا بأمة دون أخرى،والدّليل على ذلك مايحدث اليوم من الانتشار الواسع للإسلام،وهو باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن إسقاطات وات على الواقع المعاصر جعل ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى غار حراء ليس للتعبد وإنما للهروب من حرارة الشمس.يقول "ربما كان ذلك وسيلة للهروب من حرارة مكة في موسم متعب لمن كانوا لا يستعطون الذهاب إلى الطائف، ويمكن أن يكون للتأثير اليهودي والمسيحي أو بعض التجارب الشخصية أو الحاجة والرغبة في العزلة"[22].لقد أسقط وات الواقع المعاصر على كثير من أحداث السيرة النبوية، مع أن العقل يقتضي على الذي يدرس حدثا تاريخيا في فترة ما من الزمن عليه أن يراعي في دراسته زمن ذاك العصر وبيئة،وأمّا أن يحكم على حدث مضى عليه أربعة عشر قرنا أو يزيد دون مراعاة ما سبق ذكره،فهذا الحكم غير عادل. لقد أثبت لنا هذا المستشرق حقيقة فساد منهجه في دراسته للسيرة،بل عجزه وقصوره التام لفهم السيرة النبوية.

جاء الردّ الصاعق من المستشرق "أرنولد" على "مونتجمري وات" فيما يخص عالمية الإسلام فيقول:"لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب بل للعالم أجمع نصيب فيها، ولم يكن هناك غير إله واحد كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة"[23]

-6**منهج التحريف وتقويمه**:

من أمثلة وات في تحريف أحاديث النّبي صلى الله عليه وسلم ذكره لإثبات أن من كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم في الغار هو الله تعالى ولم يكن جبريل (عليه السلام)، وذلك لإثبات تناقض النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن في قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكه الأَبْصَار﴾. (الأنعام:103)

فقد حرّف وات وبدل وأظهر عوار منهجه أمام الجميع، فنقل عن الزهري كما في تاريخ الطبري حديث بدء الوحي: "...قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَنَظَرْتُ عن يميني وعن شمالي، وخلفي وقدامي، فلم أر شيئا، فنظرت فوق رأسي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه»"[24].فذكر وات كلمة (عرش) معرفة بالألف واللام؛ تلبيسا على القارئ بأنّه عرش الرحمان كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه:05]. وهذا المنهج-التحريف- سمة من سمات المستشرقين،كما يقول أنور الجندي: "إن من أعمال المستشرقين (التزوير)".[25]

-7**منهج التناقض وتقويمه**:

كثيرا ما كان وات يناقض نفسه دون أن يدري، وهذا خطأ فادح يرتكبه (وات) وهو الذي يدّعى أنه باحث موضوعي .فمن التناقض الذي أظهره لنا في قضية زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها، فيرجع وات سبب زواج النّبي صلى الله عليه وسلم بزينب هو أنه رآها عارية. يقول: "وقد ذهب محمّد صلى الله عليه وسلم فيما بعد حوالي السنة الرابعة للهجرة إلى بيت زيد للتحدث إليه وكان زيد غائبا فشاهد زينب وهي عارية فأحبها كما- يقولون- للتو فمضى وهو

يقول لنفسه (سبحان مقلب القلوب) أخبرت زينب زيدا بزيارة محمد رفض الدخول وما قاله فتوجّه زيد رأسا إلى محمد وعرض عليه أن يطلّق زينب فقال له بأن يحفظ امرأته، ولكن الحياة أصبحت فيما بعد مع زينب لا تطاق فطلقها زيد، وبعد مرور العدة تم زواجها من محمد وقد
نزل الوحي بتبرير هذا الزواج".[26] ويقول أيضا: "وبالرّغم من هذه القصص العاطفية، من البعيد أن يكون محمد قد أُسر بمفاتن زينب الجسدية ".[27]

القصة كاملة مذكورة في كتب السير بما يقطع الشك إلى اليقين، ومختصرها أن النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة و تبناه ،تم زوجه ابنة عمته : زينب بنت جحش،...لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يفكر في الزواج بزينب لا قبل زيد و لا بعده،وإلا فأي شيء كان يمنعه من التزوج بها بكرا ،...على أن زواج زيد بزينب كان بوحي سماوي و أمر إلهي. وكان زيد قد قضى من زينب وطرا ، ولم يعد له بها من حاجة ، ولم يعد يحتمل العيش معها فطلقها فأمر الرسول أن يتزوج بها،ولكن الرسول في نفسه كان يخشى من الكفار الدعاية السيئة،فنزلت الآية الكريمة الجامعة:﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: 37].و تزوج الرسول تنفيذا لحكم الله"[28].ردّ عباس محمود العقاد على اتّهامات المستشرقين وافتراءاتهم قال:"لم يكن جمال زينب خفيا على محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يزوجها مولاه زيدا،لأنّها ابنة عمته يراها من طفولته وتراه،فدعوى أنّها فاجأته برائع جمالها أسطورة مخرفين وقالت: "بيزانت" "إنّ الرجل الذي تزوج،وهو في عنفوان الشبيبة (34 سنة) بامرأة تكبره في السن إلى مدى بعيد ،ويبقى وفيّا لها ستا وعشرين سنة لا ينقلب شهوانيا بعد الخمسين".[29]

يثير وات الشكوك والتناقض في الكلام حول قضية إسلام خالد بن سعيد يقول عنه وات :"إنه اعتنق الإسلام ولأسباب دفينة ولكن إقامته الطويلة في الحبشة تشير إلى أنه كان على خلاف مع محمد صلى الله عليه وسلم في سياسته....ولو أن خالدا اهتم بالنواحي السياسية للرسالة لدفن الخلافه مع محمد صلى الله عليه وسلم وعاد إلى مكة قبل السنة السابقة للهجرة".[30]

يشير "وات" إلى العوامل القبلية والعائلية التي ساعدت بعض أهل مكة على دخول الإسلام كحمزة الذي اعتنق الدين الجديد انتقاما لابن أخيه وحميه له،وكإسلام عمر الذي أراد أن يمسح العار الذي لحق بقبيلته عندما سمع باعتناق أخته وزوجها وأخيه الإسلام...."[31].ثم يعود ويتناقض مع كلامه السابق ويقول أن الإسلام يدعو إلى وحدة البشر على أساس العقيدة لا العنصرية،وبيّن فيه أن الصراع بين حركة تجديد جاهلة تنحدر إلى الشهوات و جمع المال،وبين حركة التجديد الإسلامي هو القائم الآن ".[32]

أما فيما يخص الأسباب التي دعت المستضعفين إلى اعتناق الإسلام فإن "وات" يرجعه إلى العوامل الاقتصادية والسياسية، إلا أنه يرى أن عددهم لم يكن كثيرا لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قط مصلحا اجتماعيا بل كان مؤسس ديانة جديدة".[33]يتكلم وات عن المعارضة القرشية والتي قامت باضطهاد المسلمين فيقول عنها :"لا يتعدى الطعن اللفظي بالأشخاص المتنفذين،والضغط الاقتصادي على من دونهم والضرب الجسدي للذين لا أهمية لهم".[34]هذا التناقض والتضارب في الكلام يدلّ على أنّ وات لم يطلع اطّلاعا تاما على شخصية النّبي صلى الله عليه وسلم الحقيقية،والأكثر من ذلك اعتمد في أبحاثه عن السيرة على الروايات الضّعيفة.

8-منهج اعتماد الضعيف الشاذ وتقويمه:

إن اعتماد الضعيف الشاذ ليس مشكلة وات وحده ،بل هي مشكلة غالبية المستشرقين.ولقد تبنى وات كثيرا من الآراء الضعيفة الشاذة، وفي مقابل ذلك رد كثيرا من الآراء والروايات الصحيحة لمجرد أنها تخالف فكرة لديه .يقول محمود زقزوق :"إنهم لا يترددون في الاعتماد على الأحاديث الضعيفة ، وهم ينقبون في طوايا كتب التاريخ والسير عن أخبار ضعيفة غير ثابتة يدعمون بها آرائهم. ولهم صبر لا ينفد في استكشاف هذه المخبوءات ، واستغلال الضعيف من الدلالات. ومهما يكن من شئ فهم لا يستوعبون دراسة ما بأيديهم من المسائل، وكثيرا ما يغفلون النصوص والأخبار التي تناقض ما يقررون".[35]

إن هذا المنهج العقيم في الاستدلال ليس مأزق وات وحده، بل هو سمة كثير من المستشرقين،إنهم يضعون الفكرة في أذهانهم مسبقا ثم يتلمسون لها الأدلة من هنا وهناك سواء أكانت هذه الأدلة صحيحة أم ضعيفة ، المهم أن تؤيد ما يعتنقونه من أفكار، وفى هذا يقول الدكتور جواد على منتقدًا المستشرق كيتاني: "كان ذا رأي وفكرة ، وضع رأيه وكوَّنه في السيرة قبل الشروع في تدوينها فلما شرع بها ، استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ، ضعيفِها وقويّها ،وتمسك بها كلها،ولا سيما ما يلائم رأيه ،لم يبال بالخبر الضعيف،بل قواه وسنده، وعدّه حجة، و بنى حكمه عليه ومن يدري؟ فلعله كان يعلم بسلاسل الكذب المشهورة المعروفة عند العلماء ولكنه عف عنها وغض نظره عن أولئك العلماء فيها؛ لأنه صاحب فكرة يريد إثباتها بأية طريقة كانت".[36]

9-المنهج العلماني:

العلمانية هي فصل الدين عن الدولة بل عن الحياة، فهي ترفض وضع الدين كمرجع رئيسي للحياة السياسية والاجتماعية والاهتمام بالأمور الحياتية الواقعية للإنسان،وهذا المنهج لا ينسجم مع مبادئ ومعتقدات الإسلام، وقد تحدث وات عن إرهاصات النّبي محمد صلى الله عليه وسلم،التي مهدت لبعثته وأعلن رفضه لها ،وهناك طائفة من المفكرين الذين لا يؤمنون بالغيبيات يكادون يجزمون

بعدم صحة هذه الروايات لأنها تشير إلى أمور من المنطق أن تتوقع الإشارة إليها بعد أن أصبح نبيّا،وهو ما لا تجد إشارة إليه،ولكنّ من المؤكد أنّ هذه الروايات تعبر عن شيء بالنسبة للمسلمين المؤمنين، وبالتالي فهي حقيقة بالنسبة لهم ومناسبة لأصالة حياة نبيّهم، وربما كانت تعبيرا عمّا كان يمكن أن يراه كل ذي عينين إن كان حاضرا وقت حدوثها".[37]

ما يمكن استخلاصه من كلام وات أنه رفض عالمية الرسالة المحمدية حين قال: "وبالتالي فهي حقيقة بالنسبة لهم ومناسبة لأصالة نبيّهم". وكأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم خاص بالعرب دون غيرهم.وممّا لا شك فيه أنّ لكلّ أمر عظيم مقدمات تخلق الظروف وتهيّء الأرضية لاستقبال الحدث،ويكفي هنا الاستشهاد بلقب (الأمين) الذي أطلقه القريشيون على النّبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثه، ويكفي أن نذكر أن قريشا كانت تتوقع ظهور النّبي وهذا ما كان يحدّث به الأحناف"[38].

والأمر لايتوقف عند هذا الحد فالتاريخ يشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم،راسل ملوك وأمراء أعاجم لاعتناق الإسلام،وهذا دليل واضح على عالمية الرسالة.

10- منهج تقديم المراجع الاستشراقية على المصادر الإسلامية وتقويمه:

حاول المستشرق مونتجمري وات كغيره من المستشرقين تقديم مراجع المفكرين الغربيين على حساب المصادر العربية الإسلامية ،ونحن نعرف أن الدارس أو الباحث إذا أراد دراسة موضوع ما؛فإنه يعود إلى تلك المصادر المتعلقة بذلك الموضوع،ولاسيما الأقرب إلى زمن الموضوع (أي المصادر القديمة)؛ وهذا على عكس ما فعله وات الذي اعتمد في كتاباته عن الرسول صلى الله عليه وسلم على مصادر أساتذته وإخوانه من المستشرقين، بل كان يقدم في الكثير من الأحيان آرائهم على آراء علماء الإسلام، الذين يعرفون عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما يعرفه هؤلاء المستشرقون الذين طغت

عليهم جوانب العاطفة والوجدان.إن العقل يقول : إنه ليس من الإنصاف أن يُحكم على إنسان من خلال رأي خصمه فيه، وسأقدم أمثلة تدل على إفراط "مونتجمري " في تقديم أولوية للمصادر الاستشراقية، وإهماله المصادر الإسلامية في قضايا السيرة الكبرى ،كالوحي مثلا .فمثلا ، يذكر وات آية سورة النجم ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[النجم: 11].وينقل عن المستشرق (ريتشارد بل) في ترجمته للقرآن الكريم في هذه الآية: "ربما أضيفت فيما بعد بتطور آخر في هذه النظرية، بمعنى أنه بينما أدركت العينان العلامة أو الرمز، أدرك القلب الشيء المرموز" .[39]فمن المعروف أن هذه الآية من سورة النجم، قد نزلت بمكة، ولم تنزل في فترة لاحقة (في المدينة) ، كما يشير إلى ذلك (وات، وريتشارد بل).

من المعروف كذلك أن آية:﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: 32] هي التي نزلت بالمدينة،ولا يوجد في التفاسير ما يشير إلى أن [الآية 11 من سورة النجم].وهي قول الله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ قد نزلت في وقت لاحق كما يدعي ذلك وات، وريتشارد بل.كما اعتمد مونتجمري واط في شرح كلمة تحنث على المستشرق 'هير شفيلد'[40]."وربما كان أفضل الآراء هو ما ذكره هير شفيلد أنها مشتقة من الكلمة العبرية تحنوت أو تحنوث، والتي تعني التعبد لله" .[41]

كل هذه الأخطاء والمغالطات الظاهرة في منهج وات في دراسة السيرة النبوية،لا تنقص من قيمتها وقيمة صاحبها. ادّعى وات الموضوعية في بداية مقدمة كتابه:(محمد في مكة)،ولكن لانجد لها أثرا في مؤلفه،بل نجد عكس ذلك،لقد استخدم وات أفكارا خاطئة ومناهج فاسدة تخدم فكره وعقيدته على وجه الخصوص.

خاتمة:

لقد اصطفى الله نبيّنا محمدا صلى الله عليه وسلم،واختاره ليكون رسولا يبلّغ الرسالة السماوية،ويدعو الناس إلى وحدانية الله عز وجل.فمن آمن به أدركته الرحمة الإلهية والعناية الربانية ،وكان حقيق على الله أن يدخله الجنة،ومن كذّب به وأعرض عنه فقد أقام على نفسه الحجة، وكان جزاؤه جهنم خالدا فيها. ورغم ذلك فإن نظرة غالبية المستشرقين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة قاصرة وغير حيادية.قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) ﴾ [النساء 51- 54].

الهوامش:

1 مونتجمري وات، (محمد في مكة)، ص: 40.

2 عماد الدين خليل،(مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)،ص136/1.

3 وليم مونتجمري وات (محمد في مكة)، ص 120.

4 محمود ماضي، الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده ،دار الدعوة ،المدينة المنورة، ط1 ،1996،ص: 148.

5 وليم مونتجمري وات (محمد في المدينة) ، ص305.

6 المصدر نفسه،ص 306.

7 محمد فتح الله الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام و موقف بعض المستشرقين منها، طرابلس – ليبيا ، ط 1، 1983 ، ص 19.

8 مونتجمري وات (محمد في مكة) ، ص: 120.

9 المصدر نفسه ،ص 121.

10 لورا فيشيا فاغليري، (الدفاع عن الإسلام)، تر: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت- لبنان)، ط5، 1981م، ص: 56.

11 المصدر نفسه،ص 57.

12 رينيه ديكارت: ولد في مدينة (لاهاي) التابعه لإقليم توران في فرنسا، وكان ذلك في 31 أذار 1596م. تنقل في أروبا وعدة بلدان أخرى وتعرف على عدة فلاسفة منهم: كشاروف، وغاندي... إلا أن أفكارهم لم تلقى استحسانا عنده. ومابين 1612 إلى 1617 اكتشف الهندسة التحليلية، ومن كتب ديكارت المشهورة: (المنهج). ينظر: رينيه ديكارت، (مقال عن المنهج)، تر: محمود محمد الخضري، الهيئة العامة للكتاب،مصر، ط3، 1985م، ص: 78.

13 رينيه ديكارت، (مقال عن المنهج) ، ص: 38.

14 المصدر نفسه، ص: 48.

15 أنور الجندي، (أخطاء المنهج الغربي الوافد)، دار الكتاب اللبناني، (بيروت- لبنان)، ط1، 1974م، ص: 24، 25.

16 جواد علي، (تاريخ العرب في الإسلام- السيرة النبوية-)، دار الحداثة،دم،دط،دت، ص:9 ، 10.

17 وليام مونتجمري وات(محمد في مكة)، ص 245،246 بتصرف.

18 عماد الدين خليل، (التفسير الإسلامي للتاريخ)، دار العلم للملايين، (بيروت- لبنان)، د.ط، 1975م، ص: 132.

19 وليام مونتجمري وات، (محمد في المدينة)، ص 438.

20 عبد المتعال محمد الجبري، (السيرة النبوية وأوهام المستشرقين)، مكتبة وهبة، 14 شارع الجمهورية عابدين ،القاهرة – مصر،دط،دت، ص80.

21 وليام مونتجمري وات (محمد في مكة)، ص 274.

22 المصدر نفسه، ص 108.

23 عماد الدين خليل،مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ،1985، ج134/1.

24 محمد بن جرير الطبري، (تاريخ الرسل والملوك)، دار الكتب العلمية، (بيروت- لبنان)،،ط1، 1407ه، ص: 534/1 .

25 أنور الجندي، (مقدمات العلوم والمناهج)، دار الأنصار، (القاهرة- مصر)، د.ط،دت، ص: 147/5.

26 وليام مونتجمري وات،(محمد في المدينة)، ص 502-503 .

27 المصدر نفسه،ص :505.

28 صلاح عبد الفتاح الخالدي، (القرآن ونقض مطاعن الرهبان)، دار القلم، (دمشق- سوريا)، ط1، 1428ه/2007م، ص: 669 بتصرف.

29 محمد عبد العظيم علي ،السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقين،نقد وتحقيق وتصويب :عبد المتعال محمد الجبري ،دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع،الإسكندرية،مصر،ط1،1994ص 144- 145.

30 سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الإسلامية، ص127/2.

31 المرجع نفسه، ص: 127/2.

32 عبد المتعال محمد جبري، السيرة النبوية و أوهام المستشرقين، مكتبة وهبة،القاهرة،مصر،ط1،دت، ص:47 بتصرف.

33 سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي في الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الإسلامية ، ص: 2/ 128 .

34 المرجع نفسه ، ص: 2/ 128.

35 محمود حمدي زقزوق، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، ص: 82.

36 جواد علي، (تاريخ العرب في الإسلام- السيرة النبوية-)، ص: 118.

37 وليام مونتجمري وات ،محمد في مكة ، ص: 93.

38 عبد الله محمد الأمين النعيم، دراسات تاريخية لآراء وات بروكلمان، قلهاوزن ، 1997- ص60.

39 وليام مونتجمري وات محمد في مكة، ص: 107 بتصرف.

40 'هير شفيلد' (1834-1854)H.Hirschfld من آثاره: ديوان حسان بن ثابت(1910) وبحوث جديدة في ترتيب القرآن وتفسيره ينظر: يحي مراد،معجم أسماء المستشرقين ، ص714.

41 وليام مونتجمري وات محمد في مكة، ص: 108.